# مصادر ثقافة ابن زيدون وأثرها في شعره

الدكتور نعيم عموري، أستاذ مشارك بجامعة شهيد تشمران أهواز – إيران(الكاتب المسؤول)

n.amouri@scu.ac.ir

الدكتور عبد الحسين طاهر الربيعي، أستاذ بجامعة سومر – العراق

طعمه غضبان عبيد الحريشاوي، طالب ماجستير – جامعة شهيد تشمران أهواز –إيران

Dr. Naeem Amouri

، Assistant Professor at Shahid Chamran University of Ahvaz– Iran (Responsible author)

Dr. Abdolhosin taher alrobaee

، Professor at Somer University – Iraq

Toma ghazban obid alharishawi،

MA student – Shahid Chamran University of Ahvaz– Iran

**الملخص**

حظي الشاعر الأندلسي ابن زيدون باهتمام كبير من قبل العرب وغيرهم، نظرا لنتاجه الأدبي وقصته مع ولادة، وحاول الباحث ان يدرس مصادر ثقافة الشاعر للوصول الى معرفتها وتحديد مصاديقها وعمقها، وحاول الباحث ان يقرأ نتاج ابن زيدون ومعرفة مصادر ثقافته وأصولها من خلال الربط بين نصوصه واصولها، والعودة بها الى مناشئها، وكانت رحلة بحثية رائعة في عالم المصادر والمراجع والدواوين الشعرية، وتوصل الباحث الى عمق المصادر الثقافية في شخصية الشاعر ونتاجه الادبي، فكان للمصادر الدينية، والقرآنية منها حضورا كبيرا في ثقافته تبعها الحديث النبوي والعقائد والفقه بدرجة مختلفة، وفي

المصادر الادبية برز الاثر الكبير للشعراء العرب وتراثهم الادبي ممن سبقوه واضحا جدا، ووظفه الشاعر في قصائده بصور شتى، وفي الجانب التاريخي اتضح معرفة ابن زيدون بالتاريخ والتراث وقادته هذه المعرفة الى توظيفها بصورة متقنة متنقلا بين الحقائق والاساطير، ورثاء المدن واستخدام الأمثال والحكم. وتلك الثقافة نابعة من بيئة مكنته من استيعابها، وارث حضاري نقل له اخبار السابقين ونتاجهم وتاريخهم، وهذه عوامل مهمة في بناء شخصية الشاعر وزيادة حصيلته اللغوية والفكرية واتساع الافق لديه.كل تلك المصادر الثقافية استطاع ابن زيدون ان يجعلها منبعا لمفرداته وأفكاره وادوات لبناء قصائده بحرفية عالية منحته مزية عن غيره من الشعراء، رغم انه كان يوجه اغلب شعره نحو حبه لولادة بنت المستكفي، وللدفاع عن نفسه ضد حساده ومبغضيه، فترك ارثا ادبيا كبيرا يمثل حقبة زمنية مهمة في الادب العربي الأندلسي.

**الكلمات الدلالية:** مصادر، ثقافة، أبن زيدون، الشعر.

**Abstract:**

The Andalusian poet had a great interest from Arabs and others cultures , due to his literary output and his story with the birth of the daughter of Al-Mustaqfi. the researcher try to study the sources of the poet's culture and get knowledge out of it and determine its genuineness and its depth and try to read Ibn Zaidoun product to know his culture sources and origins by linking between his texts and their origins, and returning them to their origins It was a wonderful research trip in the world of sources, references and collections of poetry the researcher was reached to the depth of the cultural sources in the personality of the poet and his literary output the religious sources, Qur'an sources , had a great presence in his culture , also with different effect from the hadith, beliefs, and jurisprudence followed, we can see In the literary sources, the great influence of Arab poets and their literary was very clear before his culture that employed it in his poems in various forms in the historical side, Ibn Zaidoun's had a knowledge of history and heritage was evident, and this knowledge led him to use it in an elaborate manner and moving between facts and myths, lamenting cities, using proverbs and judgment and that culture growth from an

environment that enabled him to assimilate it, and a civilized legacy that conveyed to him the news of the former, their products and their history, and these are important factors in building the poet's personality, increasing his linguistic and intellectual achievement and broadening his horizon , by all these cultural sources were able Ibn Zaidoun to make it sources for his vocabulary and ideas, and tools for building his poems with high craftsmanship that gave him an advantage over other poets,although he used to direct most of his poetry towards his love for the daughter of Al-Mustaq birth and to defend about himself against his envious people and those who hate him so he left a great literary legacy that represents an important period of time in Arab-Andalusian literature.

**Keywords:** culture, Sources, ,Ibn Zaidoun's, poetry.

**المقدمة:**

يحاول الباحث الوصول وتحديد مصادر ثقافة ابن زيدون عبر منهج تحليلي ، متأملا النصوص الشعرية تأملا واعيا عبر العودة الى مواطن التأثر في البناء والمضمون من مصادر ثقافة الشاعر المختلفة ومنابعها الاصلية، فكان للقراءة والتأمل ابعد الأثر في نضج الدرس التحليلي الذي اعده الباحث عن ارتباط الشاعر

اين زيدون بمصادر ثقافته الواسعة. والمنهج التحليلي الوصفي مكن الباحث من السير في خطوات علمية متسلسلة اوصلته الى النتائج المرجوة ومن أجل الوصول لاهداف البحث نحد **الاسئلة** التالية:

١/ما المصادر الدينية والادبية والتاريخية التي كان تأثيرها واضحا وجليا في شعر ابن زيدون؟

٢/ما تأثير المصادر الثقافية على شعر ابن زيدون؟ وما مصاديقها في ذلك؟

**فرضيات البحث:**

يظهر اثر المراحل العمرية والبيئية وما رافقها من احداث زمانية ومكانية في شعر ابن زيدون، بل حتى في علاقاته بمن حوله، ويتجلى من خلال البحث ان الشاعر عاش مع حركة ثقافية نامية وتوجهات سياسية متباينة وبيئة دينية اسلامية متسامحة، وطبيعة خلابة رققت لديه المفردات الشعرية وجعلتها سهلة ممسوقة مليئة بالمعاني والصور الجميلة المتقنة، وخاض في اغراض شعرية عديدة تلائم ما رافق حياته احداث وشخوص.

**خلفية البحث:**

كثيرة هي الدراسات السابقة لابن زيدون، وقد استفاد الباحث منها، ولكن موضوع بحثا هذا لم يدرس درسا اكاديميا سابقا فحاولنا ان نسد الفراغ العلمي الذي يتوجه الى مصادر ثقافة الشاعر وأثرها في شعره.

**الدراسات السابقة:**

دراسة وتحليل بعنوان المثقف والسلطة للكاتب نزار جبرل ابراهيم السعودي وهي دراسة لتحليل الخطاب الادبي لدى ابن زيدون، لفهم موقفه السياسي بأدبه، ودراسة بعنوان اثر القران الكريم في شعر ابن زيدون للدكتورة زهراء نعمه حسن ودينا نعمه عبدالحسن، وهي دراسة تحدثت عن توظيف القران الكريم عند الشاعر ابن زيدون ومعرفة اسباب ميل الاندلسيين الى الثقافة القرآنية، ودراسة بعنوان النرجسية وتجلياتها في غزل ابن زيدون للكاتبة حسناء أقدح وهي دراسة بحثت الخطاب الشعري الغزلي للوصول الى اثر اللاشعور المكنون في شخصيته ووجدانه عبر الاستقراء لغزله، وكتاب عناصر عناصر الابداع الفني فيشعر ابن زيدون للكاتب فوزي خضر وهو كتاب يتحدث عن تفاصيل الإبداع الفني من لغة وبنية ايقاعية وتصوير فني في دراسة معمقة لعناصر الابداع لدى الشاعر.

**حياته:**

إن ابن زيدون يعد الشاعر الفحل الذي ذاع صيته في الأولين والآخرين لجودة شعره وانطباقه على سيرته الذاتية وما لقيه من صنوف الشقاء والعذاب لارتباطه بالحب والسياسة بما وهبه الله من موهبة ممتازة ومَلَكَة قديرة وضعته في طليعة شعراء العربية وكتابها البارزين.تأثرت شخصية ابن زيدون أدبياً وخلقياً بالقرآن الكريم والتراث الإسلام ي من حديث ورجال وسيرة وظهر ذلك واضحا للقارئ اللبيب وللمختص أكثر وضوحاً، إذ كان حافظاً للقرآن مهتما بمعانيه ومتأثرا بصوره وأجوائه وقصصه ومشاهده المؤثرة، فضلا عن كونه كان وافر العلم والعقيدة، متصلا بالكثير من أعلام عصره وأدبائه المشاهير وهو في سنٍّ مُبكرة.

وغنـيٌّ عن البيان ان قلة من الشعراء جمعوا بين فنّي القول(النثر والشعر) وأجادوا فيهما ويعد الشاعر الاندلسي ابن زيدون الانموذج الذي أجاد في هذين الفنين حتى يمكننا عدّهُ من مشاهير أدباء الاندلس ان لم يكن أشهرهم، فقد أحببت الأدب العربيّ عامةً والأندلسيّ خاصة منذ اطلاعي عليه في دراستي الأولية، وكان ذلك دافعا لي بالتوسع في دراسة الأدب العربي الاندلسي، وكان لأساتذتي في دراسة الماجستير الأثر الكبير في هذه الرغبة وبعد أخذ ورد وبحث وإحضار عدد من الموضوعات الصالحة للكتابة في اختصاص الأدب الأندلسي مالت نفسي الى شعر ابن زيدون شاعر الاندلس المّبرز الذي شغل شعره الناس عبر الحقب والعصور، والذي عاش في القرن الثالث الهجري ونشأ في الأندلس والمتوفى سنة (٤٦٣هـ)، وهو الوزير والكاتب والعاشق الذي أسهم كثيراً في إظهار صورة الشعر الاندلسي الجميلة، أذ تُمثل قصائده في الحبّ والطبيعة ذروة نتاجه الفني لما حمله من إرث ثقافي نابع من بيئته التي عاش فيها وعائلته التي غذته حب اللغة العربية وآدابها وبوصفه ابنَ القاضي الفقيه المعروف في تاريخ الاندلس عبدا الله ابن احمد المخزومي الأندلسي المتوفى سنة (٤٠٥هـ) فنهل منه ومن جدّه لأمه وجده لأبيه وأصدقاء والده من الأدباء والنحويين في الأندلس، وأغلب ما تأثر به في الأدب إذ أبدع في الأغراض الشعرية وصار من أبرز شعراء الأندلس المبدعين وأجملهم شعراً لما كان عليه من خيال صافٍ خصب وقريحة قوية فياضة بالمعاني الرائعة والألفاظ العذبة "حتى شبَّهوه بالشاعر المشرقي البحتري فلقبوه ب(بحتري الاندلس)[١]

**المبحث الاول: المصادر الدينية**

[١] **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ، أحمد بن ابي بكر بن خلّكان ت(٦٨١)، حققه إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨ه/١٩٧٨م، ص١٤١.

تُعَدُّ الاندلس صاحبة إرث ديني نقلته معها من المشرق العربي الإسلامي وترعرع في بيئة اسلامية مثالية، ونقلتْ مع ذلك الارث الديني إرثاً أدبياً كان في قمته من المشرق العربي، ولذلك عُدَّ الأديب في الاندلس حلقة الوصل بين الماضي والحاضر ونرى ان الشعراء في الاندلس قد نهلوا من ثقافة الإسلام وجعلوها مصدراً رئيساً يستحضرون في ضوئه تراثهم الإسلامي ويتأثرون به، وقد كان من ثقافة الأندلسيين بمختلف طبقاتهم الاهتمام الكبير بالقرآن الكريم بوصفه، المصدر الأول في التشريع واللغة، والحديث النبوي الشريف واهتمامهم بمصادر ثقافية أُخرى كالأدب والتاريخ، وكان من سيرتهم الاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم وعلومه المختلفة والأحاديث النبوية الشريفة لأولادهم حتى عُدّتْ جُزءاً من حياة أهل الأندلس.

**القران الكريم:**

وغني عن البيان ان القران الكريم هو كتاب الله الخالد والمصدر الأساس لكُلِّ أديب، يستقي منه المعاني العميقة، والصور الرائعة والأحداث المدهشة، والمواقف المرتبطة بأجوائها وشخصياتها في قصص القران الكريم التي وصفها الباري عز وجل بـ( أحسن القصص)، لما فيها من روعة البيان، وحلاوة الجرس، ودقة النظام، وجودة السبك، وشدة ارتباط الالفاظ بالمعاني، ولذا ليس بوسع الأديب شاعراً كان أم كاتباً الاستغناء عن هذه المعجزة الكلامية الكبرى، وكيف لا، وهو كلام الله تعالى الذي نزل بلسان عربي مبين، والعربي معناه الواضح البين، ولذا سمي المتكلمون بهذا اللسان عربا، وقال تعالى﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ (سورة يوسف: ٢).

وعودا إلى صُلب موضوعنا أثر القران الكريم في شعر ابن زيدون، فأننا نشاطر باحثا معاصرا هو الدكتور صباح المرزوك إذ قال: "ان ابن زيدون كثير الاقتباس والتضمين في أدبه من القران الكريم والحديث الشريف...وهذا عائد للبيئة التي عاش فيها ومدى اهتمامها بتعليم القران الكريم[٢]". فالقرآن الكريم له الأثر الأكبر في الأدب العربي عامة والادب الأندلسي خاصة.ولما كان البحث هنا عن أثر الآيات القرآنية وبنائها الفني والفاظها ومعانيها في قصائد ابن زيدون عبر الاقتباس أو التناص والتوظيف بالمعنى أو عبر النتيجة للنص القرآني كالأخلاق الفاضلة او السجايا الحسنة وغير ذلك، لذا فلا بدّ لنا أن نهتم بتأمل شعر

(٢) ينظر: **ابن زيدون في المصادر القديمة والمراجع الحديثة** صباح نوري المرزوك، دار الارقم للطباعة، بغداد، ٢٠٠٩م، ص١٠.

ابن زيدون ومعاينة أثر القران الكريم فيه، لذا فلنتوجه إلى حقل التطبيق والتعالق بين نصوص القران ولغة الشاعر، ومدى قدرته على استحضار التعابير القرآنية وإدخالها في نصوصه لتشتبك اشتباكا شعرياً آسراً يُدهش المتلقي ويضعُهُ في لحظات التلقي لصالح النص الشعري، من حيث عمق المعنى ورصانة البناء، ولنتأمل بادئ ذي بدء قولَه في هذا الأُنموذج الشعري، ضمن قصيدة رائية له قالها "عندما فُجع بموت رفيق طفولته وصديق صباه القاضي ابي بكر ابن ذكوان[٣]...فأدمت الفجيعة قلبه، ثم قادته قدماه إلى قبره، فأوحت أشجانه اليه هذا الرثاء[٤]"

كما في قوله: الكامل[٥]

**إن يَنكَــدِر بِــالأَمسِ نَجــمٌ فَاليَومَ أَقلَعَ عارِضٌ هَطّالُ**

**إنَّ النَعِــيَّ لَجَهــوَرٍ وَمُحَمَّــدٍ أَبكى الغَمامَ فَدَمعُهُ مُنثالُ**

وهنا اقتباس لقوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [الأحقاف: ٢٤] وهطال: متوالي المطر وأراد ابن زيدون ان يقول: إنَّ الأمير ابن جهور قد انطفأ سراجه الوضاء بالأمس فقد مات اليوم ابن ذكوان ورحل عنّا كما يرحل السحاب المطير، وهي كناية عن الكرم والجود الذي يراه الشاعر في الأمير ابن جهور، وهذا استحضار وتداخل مع النص القرآني الذي تضمنته الآية المباركة، هو دليل واضح على حفظ الشاعر للتعبير القرآني، وفنية استحضاره في اللحظة المناسبة.

وفي هذين البيتين يتأمل الباحث قدرة الشاعر ابن زيدون- بفضل مرجعيته القرآنية المتينة- على سبك تعابيره الشعرية بالألفاظ والتراكيب القرآنية تحسيناً لبنائه وتعميقا لرثائه، ففي البيت الأول عبر الشاعر عن رحيل المرثي ابن ذكوان ب(ينكدر بالأمس نجم ثاقب)اذ شبه الفقيد ب(النجم الثاقب) وهو تعبير قرآني،

(٣) ورد في ديوان ابن زيدون : كان وزيرا وقاضيا وعالما في قرطبة،كان صلب القناة حمي الانف، وكان ابن زيدون مقربا منه وصديقا له، توفي سنة ٤٣٥ه، دون الاربعين سنة، الديوان: ٧٤٨.

(٤)**ديوان ابن زيدون ورسائله** ، احمد بن عبدالله ابن زيدون، شرح وتحقيق علي عبدالعظيم، تقديم ومراجعة محمد احسان النص، ط٣، الكويت، منشورات مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للأبداع الشعري،٢٠٠٤م، ص٥٦٦.

(٥)المصدر نفسه، ص٥٦٧.

(٦) شهاب ثاقب مضيء.

إذ أقسم رب العزة والجلال بالمظاهر الكونية والمشاهد التي خلقها سبحانه وتعالى فقال جل شأنه: ﴿**وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ** ﴾ [الطارق: ١-٤]. إذ شبه ابن زيدون هذا الرحيل والفقد بكسوف النجم الثاقب، لكن الشاعر وفي ضوء قدرته البيانية وتأثره بالأسلوب القرآني الفريد قادته عاطفته الى تصوير لمشاهد الوجد والهلع والخسران فرسم صورة الفقدان مشبها إياها برحيل مصدر الخير والنماء مستثمرا مشهدا مماثلا له يمثله قوله (فاليوم اقلع عارض هطال ) والعارض الهطال، مثلما يلحظ الباحث هو اتكاء على الاسلوب القرآني اذ قال رب العزة والجلال "هذا عارض ممطرا" أي ان الأمير ابي جهور بعد رحيل ابن ذكوان المصدر الرئيس للكرم والخير، قد فقد سبيلا من سيل الخير وانطفأ برحيله السراج النِّير (ان ينكدر بالأمس نجم ثاقب) أي ان رحيله يعني رحيل الخير والبركة والنماء، فلا عجب ان يبكي الغمام وكل عناصر الطبيعة لهذا الفقد والخسران.

وقول ابن زيدون:[٧] [المتقارب]

**فَيا خَيرَ سُوّاسِ هَذي الأُمورِ وَناسِكَ أَربابِ هَذي الدُوَل**
**وَليتَ الثُغورَ فَلَم تَعدُ أَن رَأَيتَ الثَأى وَسَدَدتَ الخَلَل**
**سِواكَ إِذا قُلِّدَ الأَمرَ جارَ وَغَيرُكَ إِن مُلِّكَ الفَيءَ غَلّ**

أراد ابن زيدون ان يقول ان غيرك من الملوك يجور في حكمه ويخون في أمانته وهو اقتباس قراني للمعنى وجزء من اللفظ وخصوصا لفظ "فيء" وهو لفظ قراني لما ربحه المسلمون من عدوهم بلا قتال أما بالجلاء أو الصلح و"غل" أو أغل" تعني خان او هو خاص بالفيء.وتمكن الشاعر بأسلوبه الفني الكبير ان يوظِّف المعنى في ما يسعى لإيصاله إلى المتلقي، فتعبير الشاعر بمضمون الآية المباركة أراد به أن الممدوح عادل، ليس في حكمه جور، لذا كان هذا الاستحضار المكين للمفردة القرآنية في غاية الدقة والتوفيق، فالممدوح مراعٍ لشرع الله آخذ بتلابيب العدالة، أما غيره فيجور في حكمه ولا يراعي الأمانة إذا ملك أي يغلّ، وهذا التفرّد الذي ادّعاه الشاعر في ممدوحه يشير إلى مبالغته وتزلفه إلى الحكام.

(٧)**ديوان ابن زيدون ورسائله** ، علي،عبدالعظيم، ص٤٨٣.

لقد تداخل تعبير الشاعر ابن زيدون في المدح مع التعبير القرآني المستحضر لحظة نظم القصيدة– التي اجتزأنا منها هذه الأبيات والشاعر قد اقتطع التعبير القرآني المناسب لسياقه، فبعد ان خضع الدهر كحلم الممدوح عليه ان يأمر الدهر لينفذ ما يريده منه، أي شُق الجماعات وأجهر بما تريد تنفيذه، وقد أسند تعبيره الى مضمون النص مذكرا بخطاب الله لنبيه محمد صلى الله عليه واله، إذ ضمن له النصر واعلان الحق وهزيمة الباطل ودعاته.

وبهذا المضمون نلاحظ اقتباسا من قوله تعالى:﴿ **وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ۚ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٦١]

ونطالع نصاً شعرياً آخر نلحظ فيه هذا الاتكاء على المرجعية الدينية القرآنية، التي أومأت الى فنية الأخذ والاستحضار من النص القرآني، فيقول ابن زيدون من قصيدته لامية: [٨] [المتقارب]

| | |
|---|---|
| **هِيَ الشَمسُ مَغرِبُها في الكِلَل** | **وَمَطلَعُها مِن جُيوبِ الحُلَل** |
| **وَغُصنٌ تَرَشَّفَ ماءَ الشَبابِ** | **ثَراهُ الهَوى وَجَناهُ الأَمَل** |
| **تَهادى لَطيفَةَ طَيِّ الوِشاحِ** | **وَتَرنو ضَعيفَةَ كَرِّ المُقَل** |
| **وَتَبرُزُ خَلفَ حِجابِ العَفافِ** | **وَتَسفِرُ تَحتَ نِقابِ الخَجَل** |

وهذه الأبيات من قصيدة(شكر جزيل) التي كتبها ابن زيدون يخاطب بها المظفر بن الأفطس أمير بطليوس[٩]، بعد ان اتصل به الشاعر ولقي منه حفاوة وضيافة كريمة.

وهنا قد نظر الشاعر وهو ينشئ نصه الشعري الى المعنى القرآني الذي تضمنه قوله تعالى مخاطبا النبي موسى عليه وعلى نبينا السلام: ﴿**وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ۖ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**﴾ [النمل: ١٢] وهو اقتباس قرآني غير مباشر.

---

(٨) **ديوان ابن زيدون ورسائله** علي عبدالعظيم، ، ص٤٧٧.

(٩) ورث امارة بطليوس عن أبيه، وكان فاضلا، عالما، وذكر انه لعرف اهل الاندلس قاطبة باللغات والاخبار، ومعاني الاشعار، ودارت بينه وبين المعتضد بن عباد حروب طاحنة توفي سنة ٤٦٠ه وهو في سن السبعين: ينظر، ، **ديوان ابن زيدون ورسائله**، علي عبدالعظيم، ، ٧٥٢.

وأراد الشاعر ان يقول،ان هذه الحبيبة شمس مشرقة ولكنها تبزغ من أطواق الحلل، وتغرب فوق الاسرة داخل الكلل[١٠]، وهنا استعارة (الجيب) وهو أمر معنوي وصورة استعارية جملية تتكيء على النص القرآني، في محاولة لنقل المعنى المعقول إلى صورة أخرى.

ونطالع بيتا آخر من قصيدة ثناء وعتاب يقول: [١١] [الكامل]

**كانَ الوُشاةُ- وَقَد مُنيتُ بِإفكِهِم-  أَسباطَ يَعقوبٍ وَكُنتُ الذيبا**

وهذه من روائع الاستحضار القرآني من قوله تعالى﴿ **قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ**﴾ (يوسف،١٢). والشاعر، إذ يربط بين ابتلائه بالوشاة، وهم من المقربين له، وبين ما تعرض له نبي الله يوسف من أخوته وكيف وصل الامر الى محاولة القتل وكيف أتهمَ الوشاة ابن زيدون ظلما وبهتانا مثلما اتَّهمَ أبناء يعقوب الذئب بأفتراس يوسف وكيف جاءوا على قميصه بدم كذب.وهنا اقتباس قراني قصصي واضح وجليّ وفي هذا أظهر المضمون بين جانبي الاقتباس وهو إبداع فنّي ولغوي أوصل الصورة للمتلقي واضحة وجليّة، فالوشاة وما أقسى فعلهم! قد قضّوا مضجع ابن زيدون، وكانت وشاياتهم سبباً لسجنه ومحنته، وقد شبههم –بأبناء يعقوب– الذين تآمروا على أخيهم يوسف، ثم أدّعوا أنّهم تركوه عند متاعهم فأكله الذئب، وشبه الشاعر نفسه بالذئب البريء من دم يوسف، وبحسب الباحث إنَّ ورود المفردات القرآنية في البيت قد عزّز من تأثيره في المتلقي ورصّن بناءه وعمّق معناه. وقد أثَّرَ القران الكريم في شعر ابن زيدون تأثيرٌ واضحاً وكبيراً، وقد عُدَّ القرآن الكريم من أبرز بواعث الإبداع في فنه الشعري، ومثلما رأينا عبر عرض نماذجه الشعرية المتكئة على ثقافته القرآنية بما يعبّر عنه بالتناص القرآني أحيانا.

**الحديث النبوي الشريف:**

ونجد نصاً شعرياً آخر يتضمن دلالة منسجمة مع فضاء البناء الشعري، فيستنطق أبن زيدون تلك المضامين في قوله[١٢]:

(١٠) جمع كلة وهي ستارة تسدل على السرير لوقاية النائم من الحشرات.
(١١)**ديوان ابن زيدون ورسائله** ،علي عبدالعظيم، ص٤٠٥.

**كأنَّها لـي جَنّـةٌ حُفَّـتْ بمكـروه الحسـدْ**

**يحملها منـي وا فـــي الشـــكر صـــافي**

وهنا اتكاء على سياق حديثي لتشكيل صورة لدى المتلقي،وأراد الشاعر ان يقول للامير المعتمد إنَّ نعمتك السابغة عليّ تجعلني اعيش في جنة وارفة الظلال،ولكنها محفوفة بالحاسدين وهو يسير هنا الى الحديث الشريف "**حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ**(١٣)".

وفي بيت آخر نجد الشاعر التفت إلى معاني أُخرى كالمجد والمعالي ورأى ان تهنئة الأمير المعتضد بالعيد يجب ان تقترن بذكر المعالي والإشادة بفتكه بأُمراء الأقاليم المجاورة ونجاته من الاغتيال على يد أعدائه، فوظّف مضمون الحديث النبوي الشريف ومعانيه وربط بينه وبين ممدوحه المنتصر صاحب المعالي الذي أوضح معالم المجد بعد غموضها وأعلى بواعث المحامد بعد اسفافها فأجزل في العطاء والثناء،وهذا واضح في قوله:الطويل(١٤)

**أشارحَ مَعنى المَجدِ وَهوَ مُعَمَّسٌ وَمُجزِلَ حَظِّ الحَمدِ وَهوَ مُسَفسِفُ**

**لَعَمرُ العِدا المُستَدرِجيكَ بِزَعمِهِم إِلى غِرَّةٍ كادَت لَها الشَمسُ تُكسَفُ**

هنا اقتباس للمعنى وجزء من اللفظ من الحديث النبوي الشريف "**إنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ مَعاليَ الأُمور، وأَشرافَها، ويَكرَهُ سَفْسافَها**(١٥)"

**المصطلحات الفقهية والعبادية والجهادية:**

(١٢)ديوان ابن زيدون ورسائله ،علي عبدالعظيم، ص٦٣٠.
(١٣)**مسند احمد**، احمد إبن حنبل، (ت٢٤١ه)، تحقيق: شعيب الارناؤوط، وعادل مرشد، وابراهيم الزيبق، ومحمد رضوان العرقسوسي، كامل الخياط، ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ج٢٠، ص٢٨.
(١٤)**ديوان ابن زيدون ورسائله**، علي عبدالعظيم، ص٥٣٣.
(١٥)**مسند احمد**، أحمد ابن حنيل، ج٤،ص.١٣٩

انتشرت المصطلحات الفقهية بين الأندلسيين، وخصوصاً الشعراء الذين يرونها جُزءاً من ثقافتهم القرآنية، وجزءاً من تأثير الدين الإسلامي بهم وبنفوسهم، فأكثروا من إستعمال المصطلحات الفقهية في قصائدهم، وكان إبن زيدون أحدهم ان لم يكن أبرزهم في ذلك التوظيف، ففي رسالته الشعرية من سجنه التي بعثها إلى صديق فقيه، وظف مصطلحات فقهية كـ(القياس والنص)، فقال: [١٦] [الرمل]

**وَوِدادي لَكَ نَـــــصٌّ لَم يُـخـالِفـهُ قِيـاسُ**

**أَنَ حَـيـرانٌ وَلِلأَمـرِ وُضــوحٌ وَالِتِـبــاسُ**

**ما تَرى في مَعشَرٍ حالوا عَنِ العَهدِ وَخاسو**

فمتأمل هذه الأبيات يلحظُ مصطلحاتٍ فقهيةً قد وظّفها الشاعر في رسالته الشعرية لأحد الفقهاء، فثمةَ مصطلحُ النص "ما دلَّ بنفس لفظه على المعنى[١٧]"، والقياس هو "الحاق ما لم يرد فيه نص على حكمه بما ورد فيه نص على حكمه في الحكم، لاشتراكهما في علة ذلك الحكم[١٨]"، وواضح مراد الشاعر من وصف وداده للفقيه (النص) أي لا يقبل الشك والتأويل، وهو تمثل لمصطلح فقهي في غاية الاتقان ودليل على اتساع الاطلاع الفقهي لدى الشاعر وقدرته على استيعاب مضامينها السلوكية والاجتماعية.

أما قصد الشاعر فواضح، فوداده ثابت لا يتطرق اليه الشك ولا تشوبُه شائبة ولا يقبل التأويل، وقد وُفِّقَ الشاعر إلى هذا التمثل بالمصطلحات الفقهية، إنه تمثل رائع يوميء الى قدرة الشاعر على التصرف الشعري، وسعة مرجعيته الفقهية، وقدرته على استيعاب مضامينها وأحكامها وإدخال تلك المضامين والمفردات في تعابيره الشعرية لتندمج مع خطابه الشعري اندماجاً فنياً أدخلها في دائرة الإبداع.

**مصادر الثقافة الادبية:**

الشعر: ونجده في قول آخر وهو يمتدح والدة الأمير أبي الوليد إبن جهور: [١٩] [الطويل]

---

(١٦)**ديوان ابن زيدون ورسائله** علي عبدالعظيم، ص٣٥٥-٣٦٦.

(١٧)**الوجيز في اصول الفقه** عبدالكريم زيدان، مطبعة سلمان الاعظمي، ط٥، بغداد ،١٣٩٤ه-١٩٧٤م،ص٢٨٤

(١٨) المصدر نفسه: ص٢٨٤.

(١٩)**ديوان ابن زيدون ورسائله**، علي عبدالعظيم، ص٥٧٧.

**فَـإن أُنثـت فَالنَفـسُ أَنثـى نَفيسَـةٌ إذِ الجِسـمُ لا يَسمـو لِتَذكيـرِهِ ذِكـرُ**
**حَصـانٌ إنِ التَقوى اِستَبَدَّت بِسِرِّها فَمِـن صـالِحِ الأَعمـالِ يُستَـوضَحُ**

أراد الشاعر أن والدة الأمير (الممدوحة) وان كانت انثى فلن يقلل ذلك من خطرها ومكانتها، فالنفس مؤنثة والجسم مذكر ويقول ان قيمة الانسان بنفسه لا بجسمه، ويحاول الشاعر ان يوظف لفظة النفس لرفع شأن الممدوحة وبيان مكانتها كونها طاهرة عفيفة تعمر خشية الله قلبها فتتم على تقواها اعمالها الصالحات،ونرى ان الشاعر في بيته الأول اتكأ على بيت شبيه ببيته وهو بيت المتنبي الذي يقول: الوافر [٢٠]

**ولـو كـان النّسـاء كمـن فقـدنا لفضّـلت النّسـاء علـى الرّجـال**
**ومـا التّأنيث لاسم الشّمس عيبٌ ولا التّذكيـر فخـرٌ للهـلال**

نرى المعنى نفسه وبعض اللفظ في بيت المتنبي والذي كان يريد نفس مراد ابن زيدون والممدوح كان عند المتنبي امرأة ايضا وهو تناص في المعنى وبعض اللفظ ويعد اقتباسا واضحا لبيت مشهور ولشاعر أشهر.

ونلتمس أثر الشعر العربي المشرقي في قول إبن زيدون في أبيات له بعثها الى المعتضد بن عباد : [٢١] [الكامل]

**يا مَن تزيّنت الريا سـةُ حـين أُلبـس**
**وله يدٌ بئس الغمـا مُ مـن أن يعـارضَ**

(٢٠)**المتنبي، الديوان**،شرح عبدالرحمن البرقوقي، مؤسسة هنداوي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٣ه/١٩٨٣م، ص٢٦٧.
(٢١)**ديوان ابن زيدون ورسائله**، علي، عبدالعظيم، ص٢٩٦.

وتأمل هذه الأبيات يطلعنا على ثقافة إبن زيدون العريضة وألفته لنصوص الشعراء السابقين وحسن تصرفه في توظيف معانيهم وصياغتها ويرى الباحث أن الشاعر، في بيته الأول، ناظر الى قول أبي العتاهية في مدحه الخلفية العباسيّ إذ يقول:(٢٢) [المتقارب]

**أتتــه الخلافــةُ منقــادةً ... إليــه تُجــرِرُ أذيالَهــا**
**فلـم تـكُ تصلـحُ إلّا لـهُ ... ولّم يكُ يصلـحُ إلّا لهَا**
**وَلَو رامَها أَحَــدٌ غَيرُهُ ... لَزُلزِلَـتِ الأَرضُ زِلزالَها**

إتضح عبر الأبيات السابقة من مدح إبن زيدون أنهُ توجه بأكثر مدائحه إلى الأمراء والملوك، وظهر ايضا كثير من تأثر الشاعر بمن سبقوه من الشعراء وهذا ماساقه الباحث مع الشواهد، وفي مدح ابن زيدون لم تكن قصائده خالصة في المدح، بل تتداخل مع أغراض شعرية أُخرى، كالغزل والوصف والشكر والتهنئة، وقد يُعَدُّ مدح ابن زيدون معبِّرا عن صلاته مع الامراء والملوك، أو لكسب مودتهم، او لدرء الشر عن نفسه.

**النثر وما يتصل به:**

**المثل العربي:** ونرى في قول ابن زيدون:(٢٣) [الطويل]

**وَما كُنتُ إذ مَلَّكتُكَ القَلبَ عالِماً ... بِأَنِّيَ عَن حَتفي بِكَفِّيَ باحِثُ**
**فَدَيــتُكَ إنَّ الشَــوقَ لــي مُــذ ... مُميـتٌ فَهَل لـي مِـن وِصـالِكَ**

استحضر المعنى من المثل القائل(**كالباحث عن حتفه بظلفه**(٢٤)) "يقَال: إن رجلا وجَدَ صيدا، ولم يكن معه ما يذبحه به، فبحث الصيدُ بأظلافه في الأرض، فسقط على شَفْرَة، فذبحه بها. يضرب في طلب

(٢٢)**ديوان أبي العتاهية**، صبحي ،السامرائي، تحقيق حمدي السلفي، دار بيروت، بيروت، ط١ ،١٤٠٦ ه/١٩٨٦م، ص١٤١.
(٢٣)**ديوان ابن زيدون ورسائله** علي عبدالعظيم، ص٢٣٧.
(٢٤)**كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب** النويري، ج٣٠، ١٥٦.

الشَـيء يُؤدِّي صاحبه إلى تلف النفس[٢٥]". يوظف الشاعر المثل في سياق نصه، وهو توظيف فني بالإلماح إلى المثل الذي يعد مؤثرا في تلقي الخطاب الشعري، ويعرج بذاكرة المتلقي إلى أصل المثل ومعناه والربط بين الحالة الآنية مع مناسبة المثل المستعمل، وهو دلالة على سعة اطلاع الشاعر وقدرته على الاستدعاء الذي يوظِّفه في صياغاته الفنية.

**الكنايات:** وفي كناية أُخرى نطالعها في بيت له يمدح الأمير ، قائلا:[٢٦] [السريع]

**فَاِشحَذ بِحُسنِ الرَأيِ عَزمي يُرَع  مِنّي العِدا أَلَيسَ شاكي السِلاح**

في هذا البيت وظف الشاعر الكناية عن الأمير وإنَّه يضع الأمور في نصابها فهو حسن الرأي، وفي قوله (اليس شاكي السلاح) أراد بهذا كناية عن حسن الاستعداد، وحب لقاء الأعداء في ساحة الحرب، وكلها كنايات عن الشجاعة والإقدام.

**الحكم والمواعظ:**

استعمل الشاعر ابن زيدون الحِكَمَ والمواعظ في شعره، وهذه إشارة إلى ثقافته العربية الأصيلة، ومعايشته لتراث العرب المشرقيين، ولم يترك ابن زيدون الحِكَم والمواعظَ بعيدةً عن قصائده فها هو ينفث الحكمة في أبياته على "أن الاكثار من الحِكَم هو اتجاه عقلي يؤدي الى برود العاطفة[٢٧]" ومن أمثلة هذا الاتجاه قول ابن زيدون:[٢٨] [الكامل]

**مَن سُرَّ لَمّا عاشَ قَلَّ مَتاعُهُ  فَالعَيشُ نَومٌ وَالسُرورُ خَيالُ**

معنى البيت: من سرّه طولُ الحياة قلّ بها متاعُه لما يعذبه من شيخوخة ووهن وانحلال، فما العيش إلّا منام، وما السرور الا طيف وخيال[٢٩]. وهو معنى غاية في الحكمة ينمّ عن سعة أفق وإدراك لمغزي

(٢٥)**ديوان ابن زيدون ورسائله**، علي عبدالعظيم، ص١٥٧.
(٢٦)**المصدر نفسه**، ص٣٣٧.
(٢٧)**شعر الرثاء في عصر ملوك الطوائف** ، عبداللطيف يوسف عيسى، دار المنهل، بغداد، ٢٠١٣م، ص١٥٧.
(٢٨)**ديوان ابن زيدون ورسائله** ،علي عبدالعظيم، ص٥٦٦.
(٢٩) المصدر نفسه، ص٥٦٦.

الحياة وهدفها وغايتها، وهذا اتجاه عقلي وظّفه الشاعر في بيته المتقدم، واستعماله الحكمة هنا دلالة على عمق ثقافة ابن زيدون واطلاعه على كتب القدماء وتواريخهم وعلى ثقافة الأجداد الإسلامية المبنية على الزهد والترفع عن الدنيا الدنية، وكما ذكرنا انّ الإكثار من الحكم هو اتجاه عقلي ودلالة سعة الاطلاع والقدرة على استحضاره وتوظيفه توظيفا فنيا، إذ ادخله في صلب خطابه الشعري مُظهرا القدرة على هذا التعالق النصي الذي يعدُّ تصرفاً شعرياً يؤشر قدرة الشاعر البيانية وإبداعه الفني بفضل عمق هذه المرجعية الثقافية، ولا سيما الأدبية وحُسن توظيفها في نتاجه الشعري.

**المبحث الثالث: مصادر ثقافته التاريخية والاسطورية والاعتقادية:**

**الحوادث التاريخية:** ويعود بجزئية تاريخية جديدة ويوظفها كما يريد هو، لامتلاكه أدوات الشعر وضروراته، فكتب قصيدته التي يشكو فيها حاله في السجن، قائلا:(٣٠) [الطويل]

**وَلـــو أَنَّنـــي وَقَعـــتُ عَمـــداً لَمـا كـانَ بِدعـاً مِـن سَـجاياكَ أَن**
**فَـلَم أَستَتِـر حَـربَ الفِجـارِ وَلَـم مُسَـيلَمَـةً إِذ قـالَ إِنّـي مِنَ الرُسلِ**
**وَمِـثـلِيَ قَد تَهفو بِهِ نَشوَةُ الصِبا وَمِـثـلُكَ قَد يَعفو وَمالَكَ مِن مِثـلِ**
**وَإِنّـي لَتَنـهـانـي نُـهـايَ عَنِ الَّتـي أَشـادَ بِها الواشي وَيَعقِلُنـي عَقـلـي**

استحضر الشاعر في هذا النص المُحكم البناء ذي الايقاع المتعالي، بوساطة تشكيله البحر الطويل، حرب الفجار(٣١) التي سميت بهذا الاسم لانتهاكهم الأشهر الحُرم، وأطلق حرب الفجار على أربع معارك، آخرها بين قريش وكنانة من جهة، وقيس عيلان من جهة آخرى، وشهدها النبي (صلى الله عليه واله وسلم) في مقتبل حياته قبل البعثة النبوية، وأما مسيلمة فهو مدَّعي للنبوة قتل في معركة دامية.

فالاستحضار للحادثة التاريخية هنا للربط بين حال الشاعر الذي يتساءل عن ذنب بقائه في السجن، هل هو من اثار حرب الفجار ومسببها؟ وهل اتّبع مسيلمة في كفره عندما قال انه رسول الله،وهذا

(٣٠)**ديوان ابن زيدون ورسائله** علي عبدالعظيم، ص٣٥١.
(٣١)**البداية والنهاية** ابن كثير، ج ٢،ب يت الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٤م، ص٣٥٣: الفجار بكسر الفاء. بمعنى المفاجرة كالقتال والمقاتلة وسمي الفجار لان القتال جرى في الشهر الحرام ففروا فيه جميعا.

توظيف واستدعاء لحوادث تاريخية معروفة وواضحة لا تقبل الدحض والتأويل، وبها أراد أن يبرئ نفسه مما نُسب اليه، وهذا التعالق النصّي، واستحضار الحادثة التاريخية بشخوصها أخدم مضمون الأبيات وجاء متناسقا مع السياق والغرض الذي قصده الشاعر. ويظهر ان ابن زيدون كان مُلما بالحوادث التاريخية عارفا بحقائقها،فأستعملها في أكثر من موضع، مستخدما أدواته الشعرية بحرفية عالية انتجت لنا قصائد معبرة عن إبداعه الفني.

**الاعلام والشخصيات:**

ثم يكمل قصيدته ويأتي بأستدعاء لشخصيات تاريخية ويوظفها في شعره الذي يمتلئ بجوانب الابداع في الوظيف والاسلوب الفني والصورة الشعرية، فيستدعي ملك جذيمة بن مالك الوضاح ومعه أكثر من شخصية في أبيات شعريه، فيقول:[٣٢] [الكامل]

**وَعَرَفتُ مِن ذي الطَوقِ عَمرٍ ... لِجَذيمَةَ الوَضّاحِ حينَ**
**وَأَتى بِيَ النُعمانَ يَومَ نَعيمِهِ ... نَجمٌ تَلَقّى سَعدَهُ الميلادُ**
**قَد أُلِّفَت أَشتاتُهُم في واحِدٍ ... إِلّا يَكُنهُم أُمَّةً فَيَكادُ**
**فَكَأَنَّني طالَعتُهُم بِوِفادَةٍ ... لَم يَستَطِعها عُروَةُ الوَفّادُ**

وظف أكثر من شخصية منها ملك جذيمة بن مالك الوضاح الذي ينعت بالأبرش عمرو بن الظرب العاملي وذكر ذي الطوق وهو عمرو بن عدي ابن اخت جذيمة الذي انتقم له من قتلته، وأراد في البيت الأول ان يصف الأمير بالقوي الذي لا يغفل ان الاحتياط كما فعل اجداده، وفي البيت الثاني ذكر شخصية المنذر بن ماء السماء وقصة قتله لنديمين له ثم حزن عليهما فبنى له قبرين يسميان الغريين وقرر ان يزورهما يومين كل عام، اليوم الأول هو يسمى يوم النعيم يعطى اول شخص يطلع عليه مائة من الابل، والثاني يوم البؤس،

(٣٢)**ديوان ابن زيدون ورسائله**، علي عبدالعظيم، ص٥٠٧.

يقتل فيه اول شخص يطلع عليه، وهذه القصة نسبت للنعمان بن المنذر، وأراد ابن زيدون ان حظه الحسن ساقه الى الأمير في يوم سعده كما كان المحظوظون يفدون على النعمان في يوم سعده[٣٣].

وفي البيت الثالث ذكر الشاعر شخصية تاريخية وهي عروة الوفاد وهو عروة بن عتبة الكلابي[٣٤] وكان يفد على الملوك وله قدر عندهم،وبسببه قامت حرب الفجار،ونلحظ اثر المرجعية التاريخية الواضح في قصائده التي وجدنا الكثير من الشواهد الدالة عليها وبوضوح، وظفها وتمثلها شعريا في قصائده، واستطاع ان يقدمها للمتلقي بدون تعقيد او اقحام او التواء[٣٥].

**الاماكن والمدن:**

ثم يُلاحظ الباحث أنَّ الشاعر قد وظّف مظاهر العمران، وجعلها في تشكيل بناء قصيدته التصويري، كما في ذكره المصانع وهي الحصون، او القصور، التي يشده الشوق اليها، فيقول:[٣٦] [الرجز]

**إذا أَتَيتَ الوَطَنَ الحَبيب**

**وَالجانِبَ المُستَوضَحَ العَجيبا**

**وَالحاضِرَ المُنفَسِحَ الرَحيبا**

**فَحَيِّ مِنهُ ما رأى[٣٧] الجَنوبا**

**مَصانِعٌ تَجتَذِبُ القُلوبا**

**حَيثُ أَلفتُ الرَشَأَ الرَبيبا**

(٣٣) ينظر: ديوان ابن زيدون ورسائله ،علي عبدالعظيم، ٥٠٧.

(34)**كتاب الأعلام**: ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين الطبعة١٥، ٢٠٠٢م :عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب: جاهلي من جلساء الملوك. سمي " الرحال " لأنه كان كثير الوفادة عليهم. وكان ذا قدر عندهم. وبسببه هاجت حرب الفجار (الثانية) بين حيي خندف وقيس.

(٣٥)**ديوان ابن زيدون ورسائله**، علي عبدالعظيم، ص٥٠٧.

٣٦ المصدر نفسه، ص ٥٣٩.

(٣٧) رأى: أوقد (**لسان العرب**:مادة رأى،ج٣،ص١٥٣٧.)

لاحظ الباحث أنَّ المكان لدى الشاعر حيّز كبير في نفسه فقد ارتبط بمواقف كثيرة وأحداث جسيمة ومهمة، تارة في الجانب السياسي وتارة في الجانب الحربي وتارة أخرى في الجانب الاجتماعي، والأعّم الأغلب ارتبط بحالة العشق لديه، ووظف ابن زيدون كل تلك الأماكن وملأ بها قصائده بصور شعرية رائعة، فقد كان المكان لديه رمزا يمثل الأرض والإنسان، ولذلك لم يكن حنينه وذكره للاماكن الى المكان نفسه، بل كان حنيناً لمن كان فيها، أي: ان من كان يشتغل باله ويشغف قلبه هو حب الساكنين في الديار، لا حب الديار لذاتها.

**مصادر الثقافة الاسطورية:**

وينظر ابن زيدون في أسطورة تقول ان الغراب نذير شؤوم ويؤدي الى الفراق، فقد ارتبط نعيب الغراب عندهم كما عند من سبقهم من الشعراء بالفأل السيء، والتطير، والزجر، والعيافة[٣٨]. فيقول:[٣٩] [الكامل]

**ما الهَجرُ إلّا البَينُ لَولا أَنَّهُ لَم يَشحُ فاهُ بِهِ الغُرابُ نَعيبا**

ولعل الغراب نال من سوء الظن ما لم ينله طير آخر، فق طار في فضاء الاساطير، حتى تناوله ابن زيدون كنذير شؤم بينه وبين ولادة،وهو ما يتناسب مع أغراضه التي يحاول ان يعبر عنها، مع الابداع الذي رسمه بنصوصه التي توازن بين الاساطير التي وظفها ومعتقداته وثقافته.

ويستدعي الشاعر معتقد قديم آخر في قوله:[٤٠] [الخفيف]

**طالَما نافَرَ الهَوى مِنهُ غِرٌّ لَم يَطُل عَهدُ جيدِهِ بِالتَميمِ**

(٣٨) ينظر: **الحيوان**،الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، دار احيار التراث العربي،بيروت،ط٢، ١٣٨٨ه /١٩٦٩م،٥١٧/٣وما بعدها؛ **الجاهلية مقدمة الحياة العربية لدراسة الادب الجاهلي** يحيى الجبوري، مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٨٨ه/١٩٦٩م، ٩٩.

(٣٩)**ديوان ابن زيدون ورسائله**، علي عبدالعظيم، ص٤٠٢.

(٤٠)ديوان ابن زيدون ورسائله ،علي عبدالعظيم، ص٣٥٩.

ذكر الشاعر التميم، وهو لفظ مأخوذ من التميم وهي العوذة التي تُعلّق على رقبة الصبي خوفا من الحسد، وتممت الوالدة اذا علقت التميمة علي الصبي، وهي معتقد قديم وظّفه الشاعر في بيته الذي جعله في مقدمته الغزلية لقصيدة عتب ورجاء،كتبها في آخر أيام سجنه.

**النتائج:**

١- ان الشاعر الاندلسي-موضوع البحث- يعدُّ في طليعة الشعراء العرب من حيث غزارة الانتاج وجودته، ولعل اتساع مرجعيته الثقافية وتنوعها وعمقها يمثل عنصراً مهماً من عناصر الإبداع الفني في أدبه، ولا سيما في ديوانه الكبير المتعدد الأغراض والمعاني.

٢- لوحظ -عبر قراءة شعرة وتأمل معانيه وابنيته- تأثره بالمرجعية الدينية ولاسيما- القران الكريم- كتاب العربية الخالد لما اتسم به التعبير القرآني من معانٍ رائعة، وألفاظ عز نظيرها وجرس آسر، وصور لا يرقى اليها أي تعبير شعري مهما كانت بلاغته وبناؤه، وقد أفضى هذا التأثير ان يستحضر الشاعر التعابير والصور والالفاظ والقصص القرآنية حيثما تطلب المعنى والسياق ذلك.

٣- ان المنابع الدينية الأُخرى المتمثلة بالحديث النبوي الشريف والمصطلحات الفقهية والجهادية والمعاني العقدية، فكان نصيبها من الاستحضار والتداخل مع شعر الشاعر وافراً ودقيقاً ولكن حضورها لم يكن بمستوى حضور المرجعية الدينية في شعره.

٤- لآحظ الباحث تأثر الشاعر ابن زيدون بالشعراء المشرقيين من ذوي القدرات الفنية العالية، ولم يركز على فئة من الشعراء أو عصر محدد، بل امتد تأثره من الشعر العربي قبل الإسلام ، أذ ورد في شعره أشارات او تأثر بأشعار الجاهليين على شاكلة امرئ القيس والنابغة الذبياني وزهير ابن ابي سُلمى وشعراء آخرين، الى الشعراء الامويين وقد لاحظ الباحث تأثر ابن زيدون بشعراء الغزل العذري، فقد صور من صوره كثير من معاني هذا الغزل كالحزن الشديد وفراق المحبوبة والوفاء لها والحفاظ على العهد بينه وبينها وأبيات كثيرة من نونيته الشهيرة (اضحى التنائي) تشير الى ذلك بوضوح ما أشرنا إلى ذلك في موضعه،

والعباسيين كأشجع السلمي، وابي تمام والبحتري، ومسلم ابن الوليد، وابي الطيب المتنبي، وابي العلاء المعري، وبعض الاندلسيين الذين سبقوه، غير ان هذا التأثر والاعجاب ظهر في شعر ابن زيدون فنا رائعا يقوم على إعادة الصياغة مع التلميح إلى المعاني الأصلية، وبدلالة الاتكاء على بعض مفردات النص الأصلي لتكون دليلاً للمتلقي على تتبع النص المؤثر المتداخل مع نص ابن زيدون شاعر الاندلس المبّرز أو كما لقبوه (بحتري الاندلس)، أو شاعر الحب والطبيعة.

٥- وفي مجال التأثر بالنثر العربي، بدا للباحث تأثر ابن زيدون بالمثل العربي والعبارات التراثية والكنايات، إذ أكثر منها الشاعر ابن زيدون إكثارا لافتا مظهرا القدرة الفنية في استحضارها، أذ تداخلت مع شعره تداخلا بصياغات ابداعية عملت على ترصين مبانيه وتعميق مضامينه، مع غبر قليل من حلاوة الجَرْس والأحكام والتماسك النصي، فضلاً عما يلحظ من صور موحية صنعها خيال ابن زيدون، لذا عدت مرجعيته الأدبية النثرية ذات أثر بين في تميزه بين شعراء الاندلس، بل عد في طليعة شعراء العربية بما اتيح له من توظيف المنابع الثقافية التي استقى منها ما يمدّ أدبه بالألفاظ والتراكيب والمعاني والدلالات التي لا يمكن لأي شاعر أو أديب ان يستغني عنها، بحسب سعة مرجعيته وعمقها.

٦- وكان لثقافة الشاعر التاريخية والأسطورية بروافدها المتنوعة من حوادث تاريخية وشخصيات وثقافة نسبية، فضلا عن اطلاعه على الأساطير التي امتد اليها، كان لكل ذلك أثر لا يمكن اغفاله في شعر الشاعر شاء ام ابى، أذ تسرب الى فنه الشعري كثير من هذه المضامين والاحداث وما يرتبط بها من فاعلين وشخصيات، اذا ان الاحداث لابد ان تكون مرتبطة ارتباطا جدليا بالشخصيات. وفي ديوان ابن زيدون نجد توظيفا فنيا للشخصيات والأعلام على شاكلة الشخصيات التاريخية التي كتن لها صيتها في المواقف الاجتماعية، ويعزّ على الباحث إحصاء الشخصيات التي ذكرها ابن زيدون ذكراً فنياً، ومن تلك الشخصيات التي اشتهرت في حيز العلم واخرون في العبادة والشجاعة وغيرهم في الحكمة والحلم وما اليها، فضلا عن ذلك يعد تنبه الباحث الى ورود الاماكن والمدن ورودا فنيا لا طارئا، ما اضفى على البناء الشعري أسسا موضوعية وأبنية مقبولة عند متلقي شعره.

٧- ولم يغفل ابن زيدون- وهو الواسع الثقافة- عن استدعاء الرمز الاسطوري في لغة الشعر حيثما تطلب الامر استحضارا معبرا عما يريد من معان وأغراض شعرية؛ لان التجربة الشعرية الحية المؤسسة على خيال يقظ تعمل على تعبير الواقع وتحويله الى تعبير مدهش عن الحياة بلفظة جميلة موحية، اذا ان الاسطورة شكلت جزء من ثقافة الشعوب، لذا صيرها الشاعر اداة فنية معبرة عن تجربته الوجدانية، وشاعرنا استطاع ان يسخر مواهبه-بوساطة خياله الخلاق- ليجعل من اللغة الشعرية وتفجير طاقاته تعبيرا عما يحسه ويشعر به، والشعر اذن يمثل الجسد الصوتي للكلمات التي تتآزر فتعبر عن التجربة الشعرية.

## قائمة المصادر والمراجع


١. ابن حنبل، أحمد،(د.ت)، **مسند احمد**،(د.ط)، تحقيق: شعيب الارناؤوط، وعادل مرشد، وابراهيم الزيبق، ومحمد رضوان العرقسوسي، كامل الخياط، ومحمد نعيم العرقسوسي، لبنان بيروت، مؤسسة الرسالة.

٢. ابن خلّكان، أحمد بن ابي بكر،( ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**،(د.ط)، حققه إحسان عباس،لبنان، بيروت، دار صادر.

٣. ابن زيدون، احمد بن عبدالله،( ٢٠٠٤م)، ديوان ابن زيدون ورسائله، ط٣، شرح وتحقيق علي عبدالعظيم، تقديم ومراجعة محمد احسان النص، الكويت، منشورات مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للأبداع الشعري.

٤. ابن كثير،(٢٠٠٤م)، البداية والنهاية، ج ٢، لبنان، بيروت، بيت الأفكار الدولية.

٥. ابو العتاهية،( ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦م)، الديوان، ط١، صبحي السامرائي، تحقيق حمدي السلفي، لبنان، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر.

٦. الجاحظ، (١٣٨٨هـ /١٩٦٩م)، الحيوان، ط٢، تحقيق عبدالسلام هارون، بيروت، دار احياء التراث العربي.

٧. الجبوري، يحيى، الجاهلية مقدمة الحياة العربية لدراسة الادب الجاهلي، (د.ط)، العراق، بغداد، مطبعة المعارف.

٨. : الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي ، (المتوفى: ١٣٩٦هـ)،( ٢٠٠٠م)، كتاب الأعلام، (د.ط)، بيروت، دار العلم للملايين.

٩. عبدالكريم، زيدان،( ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م)، **الوجيز في اصول الفقه**، ط٥، العراق، بغداد، مطبعة سلمان الاعظمي.

١٠. عيسى، عبداللطيف يوسف، (٢٠١٣م)، شعر الرثاء في عصر ملوك الطوائف، (د.ط)،العراق، بغداد، دار المنهل.

١١. المتنبي،( ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، الديوان،(د.ط)، شرح عبدالرحمن البرقوقي، بيروت مؤسسة هنداوي، دار بيروت للطباعة والنشر.

١٢. المرزوك، صباح نوري، (٢٠٠٠م)، ابن زيدون في المصادر القديمة والمراجع الحديثة، بغداد، دار الارقم للطباعة.

١٣. النويري، أحمد بن محمد بن عبدالدائم القرشي البكري، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)، نهاية الارب في فنون الأدب،(د.ط)، المحقق: مفيد قميحة – حسن نور الدين – يحي الشامي – علي بو

ملحم – محمد رضا مروة – يوسف طويل – علي محمد هاشم – عبد المجيد ترحيني – عماد علي حمزة – نجيب مصطفى فواز – حكمت كشلي – إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية.